مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الرابع عشر
المجلد (٥) العدد (١)
٢٠٢٤ (١١٨-١٤٤)

مجلة أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

الحكمة والموعظة الحسنة لبناء خطاب دينيّ معتدل مؤثّر (إبراهيم عليه السّلام نموذجاً)

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

احمد بن حمودة الزهانى

*متحصل على الدكتوراة فى القرآن وعلوم التفسير، استاذ مساعد متعاقد بالمعهد العالي لأصول الدين جامعة الزيتونة، **تونس***

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٤ مارس ٢٠٢٤م

*** مقدّمة**

لقد خصّ الله ﷻ المسجد بمكانة عظيمة فهو أفضل البلاد عنده: ﴿وأنّ المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾[1]، كما عظّم شأن مرتاديه ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾[2].

وإنّ رسالة المسجد لا تقتصر على إقامة الصّلاة، والذّكر، وتلاوة القرآن فحسب، بل تتعدّاها إلى تطهير النّفوس، وتنوير العقول، وتهذيب السّلوك، ونشر المحبّة والألفة بين النّاس... ولا مناص من تلقّي خطاب دينيّ مرّة في الأسبوع على الأقلّ، فحضور الجمعة واجب على كلّ مسلم﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾[3]، والاستماع إلى الخطبة وحسن الإنصات إليها من أوكد الواجبات، إلّا أنّ هذا الخطاب يتفاوت من خطيب إلى آخر، فنجد الخطاب التّحريضيّ، والتّكفيريّ، والـــمنفّر، والمتشنّج، وقلّما نجد الخطاب الدّينيّ المعتدل المؤثّر.

ومن ثمّ وجب على المهتمّين بالشّأن الدّينيّ تطوير هذا الخطاب والرّقيّ به، لكي يحقّق أهداف الإسلام السّامية ومنها تعزيز التّعايش السّلميّ ومناهضة الكراهية، حتّى نوحّد الصفّ، ونحقّق الوئام في المجتمع.

[1] سورة الجنّ: الآية 18.
[2] سورة النّور: الآية 36.
[3] سورة الجمعة: الآية9.

وفي هذا الإطار يتنزّل هذا المقال بعنوان: الحكمة والموعظة الحسنة لبناء خطاب دينيّ معتدل مؤثّر: إبراهيم عليه السّلام نموذجا.

ومن الأسباب الموضوعيّة لاختيار هذا الموضوع، الآتي:-

١- قوّة اتّصال رسالة الخطباء والعلماء بالأنبياء "إنّ العلماء ورثة الأنبياء"، فمرجعيّة الخطيب أنبياء الله ومن بينهم أبونا إبراهيم ﴿ملّة أبيكم إبراهيم﴾[1].

٢- حاجة الخطيب إلى الحكمة والموعظة الحسنة المميّزة لخطاب إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[2].

*** الحكمة والموعظة الحسنة ومعانيها**

*** الحكمة في اللّغة والاصطلاح**

*** الحكمة في اللّغة**

قال ابن فارس[3]: "(حَكَمَ) الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ. وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدّابّةِ لِأَنّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدّابّةَ وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ :حَكَمْتُ السّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ... وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ. وَتَقُولُ: حَكّمْتُ فُلَانًا تَحْكِيمًا مَنَعْتُهُ عَمّا يُرِيدُ. وَحُكِّمَ فُلَانٌ فِي كَذَا، إِذَا جُعِلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ، وَالْمُحَكّمُ: الْمُجَرّبُ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْحِكْمَةِ"[4]

وقال ابن منظور[5]: "الحِكْمَةُ عِبارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الأَشياء بِأَفْضَلِ الْعُلُومِ .وَيُقَالُ لِمَنْ يُحْسِنُ دَقَائِقَ الصّنَاعات ويُتقنها :حَكِيمٌ، والحَكِيمُ يَجُوزُ أَن يَكُونَ بِمَعْنَى الحاكِمِ مِثْلَ قَدِير بِمَعْنَى قَادِرٍ وعَلِيمٍ بِمَعْنَى عالِمٍ"[6]

وجاء في المصباح المنير: "الْحَكَمَةُ وِزَانُ قَصَبَةٍ لِلدّابّةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنّهَا تُذَلّلُهَا لِرَاكِبِهَا حَتّى تَمْنَعَهَا الْجِمَاحَ وَنَحْوَهُ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْحِكْمَةِ لِأَنّهَا تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْأَرْذَالِ"[7]

---

[1] سورة الحجّ: الآية 76.

[2] سورة النّحل: الآية 125.

[3] أحمد بن فارس بن زكريّا أبو الحسين: من أئمّة أهل اللّغة، من تلاميذه بديع الزّمان الهمذانيّ، ت395هـ (القفطي (جمال الدّين): إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ومؤسّسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، ط1، 1406هـ/1982م).

[4] ابن فارس (أحمد): معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 91/2.

[5] محمّد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الأنصاريّ الإفريقيّ ثمّ المصريّ: ولد سنة 630هـ، ومات سنة 711هـ، جمع في اللّغة كتابا سمّاه لسان العرب، وكان مغرما باختصار كتب الأدب المطوّلة: (ابن حجر العسقلانيّ (أحمد بن عليّ): الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة، دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدّكن، الهند، تحقيق: السّيّد خورشيد علي، ط2، 1392ه/1972م، 6/15-16).

[6] ابن منظور (محمّد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 40/12.

[7] الفيّومي (أحمد بن محمّد): المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، المكتبة العلميّة، بيروت، د.ت.ط، 145/2.

وقال الفيروزآباديّ[1]: "والحِكْمَةُ، بالكسر :العَدْلُ، والعِلْمُ، والحِلْمُ، والنُّبُوّةُ، والقُرْآنُ، والإِنْجِيلُ"[2]

نلاحظ تعدّد التّعاريف اللّغويّة لمعنى الحكمة ولعلّ أهمّها: **المنع**، فالحكمة تمنع صاحبها من الظّلم، ومن الجهل، ومن أخلاق الأراذل، وعليه فإنّ الحكيم على خلق ولا يظلم، أو يجهل.

*** معاني الحكمة في الاصطلاح**

تعدّدت تعاريف العلماء كالآتي:-

ذكر أبو حيّان[3]أنّ فيها تسعة وعشرين قولا لأهل العلم قريب بعضها من بعض[4]، وقال ابن عطيّة[5]: "الحكمة مصدر من

[1] محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم، ولد سنة 729هـ، أخذ اللّغة والأدب عن والده، وقرأ القراءات العشر، له مصنّفات كثيرة من أهمّها القاموس المحيط، توفّي سنة 817هـ (السّخّاويّ (محمّد بن عبد الرّحمن): الضّوء اللّامع لأهل القرن التّاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.ط، 10/79-86).

[2]الفيروزآباديّ (محمّد بن يعقوب) : القاموس المحيط، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت-لبنان، ط8، ص95.

[3] محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، ولد سنة 654هـ وتوفّي سنة 745ه، من كبار العلماء بالعربيّة والتّفسير، والقراءات، والحديث، والتّراجم، من أهمّ مؤلّفاته: البحر المحيط في تفسير القرآن (ابن حجر العسقلّانيّ (أحمد بن عليّ): الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة، دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدّكن، الهند، تحقيق: السّيّد خورشيد علي، ط2، 1392ه/1972م، 6/58-65).

[4] من هذه الأقوال: الورع في الدّين، والخشية، والعقل في أمر الله، والفهم، والعلم، والعمل، والكتابة، وسرعة الجواب مع إصابة الصّواب، وطاعة الله... (أبو حيّان (محمّد بن يوسف): البحر المحيط في التّفسير، تحقيق: صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420ه، 2/684).

[5] عبد الحقّ بن أبي بكر بن غالب بن عطيّة، شيخ المفسّرين، كان إماما في الفقه وفي التّفسير وفي العربيّة، ولد سنة 481هـ، وتوفّي سنة 542هـ (الذّهبيّ (محمّد بن أحمد): سير أعلام النّبلاء، تحقيق: مجموعة من المحقّقين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشّار عوّاد، مؤسّسة الرّسالة، ط3، 1405هـ-1985م، 19/587-588).

الإحكام، وهو الإتقان في عمل أو قول، وكتاب الله حكمة، وسنّة نبيّه حكمة"[1].

وعرّفها الرّاغب الأصبهانيّ[2] بأنّها: "إصابة الحقّ بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا الّذي وصف به لقمان: ﴿ ولقد ءاتينا لقمان الحكمة﴾[3]"[4]

وقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: "الْحِكْمَةُ الْمَعْرِفَةُ بِدِينِ اللّهِ وَالْفِقْهِ فِيهِ وَالِاتِّبَاعِ لَهُ"[5]

بيّن الإمام مالك في هذا التّعريف أهمّ جوانب الحكمة، وهي عمل الحكيم بما يعلم، حتّى يكون قدوة حسنة، وعليه فإنّ الحكمة لا تعني مجرّد العلم وإنّما تتعدّاها إلى العمل.

وقال مالك أيضا: "إنّما الحكمة مسحة ملك على قلب العبد"[6]

ومعناه أنّ الحكمة فضل من الله وهبة ومنّة، قال إبراهيم الخليل: ﴿ربِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾[7]، قال ابن عبّاس "حُكما": أي معرفة بك وبحدودك وأحكامك، وقال مقاتل[8]: فهما وعلما[9].

وقال ابن عاشور[10]: "وَالْحِكْمَةُ إِتْقَانُ الْعِلْمِ وَإِجْرَاءُ الْفِعْلِ عَلَى وَفْقِ ذَلِكَ الْعِلْمِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ :نَزَلَتِ الْحِكْمَةُ عَلَى

---

[1] ابن عطيّة (عبد الحقّ بن غالب): المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1422ه، 364/1.

[2] الحسين بن محمّد بن المفضّل، من العلماء الحكماء، صاحب التّصانيف، توفّي في حدود سنة 502هـ (الذّهبيّ (محمّد بن أحمد): سير أعلام النّبلاء، تحقيق: مجموعة من المحقّقين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشّار عوّاد، مؤسّسة الرّسالة، ط3، 1405هـ-1985م، 120/18-121).

[3] سورة لقمان، الآية 11.

[4] الرّاغب الأصفهانيّ: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت لبنان، 1392هـ-1972م، ص126.

[5] القرطبي (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصريّة، ط2، 1384هـ-1964م، 330/3.

[6] القاضي عياض (أبو الفضل): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصّحراوي، ط1، 62/2.

[7] سورة الشّعراء، الآية83.

[8] مقاتل بن سليمان: من أعلام المفسّرين، أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهما، وروى عنه: عبد الرّزّاق بن همّام الصّنعانيّ، وحرميّ بن عمارة، وغيرهما، اختلف العلماء في روايته، فمنهم من وثّقه، ومنهم من نسبه إلى الكذب، توفّي 150هـ (ابن خلكان (أحمد بن محمّد): وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م، 255/5-257).

[9] القرطبي (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصريّة، ط2، 1384هـ-1964م، 112/13.

[10] محمّد الطّاهر ابن عاشور: رئيس المفتين المالكيّين بتونس، وشيخ جامع الزّيتونة وفروعه، ولد سنة 1296هـ، له مصنّفات كثيرة، منها: التّحرير والتّنوير، مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، أصول النّظام الاجتماعيّ في الإسلام.. توفّي بتونس سنة 1393هـ.

أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَعُقُولِ الْيُونَانِ، وَأَيْدِي الصِّينِيِّينَ. وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحُكْمِ- وَهُوَ الْمَنْعُ- لِأَنَّهَا تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْغَلَطِ وَالضَّلَالِ"[1]

وقال أيضا:-

"الْحِكْمَةُ :هِيَ الْمَعْرِفَةُ الْمُحْكَمَةُ، أَيِ الصَّائِبَةُ الْمُجَرَّدَةُ عَنِ الْخَطَأِ، فَلَا تُطْلَقُ الْحِكْمَةُ إِلَّا عَلَى الْمَعْرِفَةِ الْخَالِصَةِ عَنْ شَوَائِبِ الْأَخْطَاءِ وَبَقَايَا الْجَهْلِ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَفِي تَهْذِيبِهِمْ .وَلِذَلِكَ عَرَّفُوا الْحِكْمَةَ بِأَنَّهَا :مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ ... وَهِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ كَلَامٍ أَوْ عِلْمٍ يُرَاعَى فِيهِ إِصْلَاحُ حَالِ النَّاسِ وَاعْتِقَادُهُمْ إِصْلَاحًا مُسْتَمِرًّا لَا يَتَغَيَّرُ"[2]

أرى أنّ هذا التّعريف من أحسن ما قيل في بيان معنى الحكمة، فعلى المتصدّرين للدّعوة من الأيمّة الخطباء، والوعّاظ، وغيرهم، أن يعملوا على الإصلاح المستمرّ لما فسد من أخلاق النّاس وعقائدهم، ولا يتأتّى ذلك إلّا عن علم وبصيرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى الله عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[3]

*** الحكمة في القرآن الكريم**

ورد لفظ الحكمة عشرين مرّة في اثنتي عشرة سورة[4]: ستّ مرّات في البقرة، وثلاث في ءال عمران، ومرّتين في سورة النّساء، ومرّة واحدة في سور: المائدة، والنّحل، والإسراء، ولقمان، والأحزاب، وص، والزّخرف، والقمر، والجمعة.

*** مواضع الحكمة في سورة البقرة ومعانيها**

ورد لفظ الحكمة في سورة البقرة ستّ مرّات كالآتي:-

الموضع الأوّل

﴿ربّنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم إنّك أنت العزيز الحكيم﴾[5]

ذكر ابن عطيّة أنّ الحكمة في هذه الآية تعني: السّنّة وبيانُ النبيّ ﷺ الشّرائع[6]، وقال ابن عاشور إنّها معاني الكتاب وتفصيل مقاصده[7]

الموضع الثّاني

﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[8]

---

[1] ابن عاشور (محمّد الطّاهر) : تحرير المعنى السّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنّشر والتّوزيع، 1997م، 61/3.

[2] م.ن: 327/14.

[3] سورة يوسف، الآية 108.

[4] عبد الباقي (محمّد فؤاد): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ-2001م، ص262.

[5] سورة البقرة، الآية 128.

[6] ابن عطيّة: المحرّر الوجيز.

[7] ابن عاشور: التّحرير والتّنوير.

[8] سورة البقرة، الآية 150.

الحكمة ههنا بمعنى ما يتلقّى عنه ﷺ من سنّة وفقه في دين[1]، وقال ابن عاشور إنّها التّعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ والفساد[2]

الموضع الثّالث

﴿واذكروا نعمت الله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾[3]

الحكمة: العلم المستفاد من الشّريعة، وهو العبرة بأحوال الأمم الماضية وإدراك مصالح الدّين وأسرار الشّريعة، ومعنى إنزالها أنّها كانت حاصلة من آيات القرآن[4]

الموضع الرّابع

﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشاء﴾[5]

الحكمة الّتي آتاه الله: النّبوّة والزّبور[6]

الموضع الخامس

﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾[7]

اختلف المفسّرون في معنى الحكمة في هذا الموضع، على أقوال كثيرة كالآتي:-

١- قال السّدّيّ: الحكمة: النبوّة[8].

٢- وقال ابن عبّاس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيّته[9].

٣- وقال قتادة: الفقه في القرآن[10].

٤- وقال مجاهد: الإصابة في القول والفعل[11].

٥- وقال مالك: الحكمة: المعرفة في الدّين، والفقه فيه، والاتّباع له[12].

٦- وقال أيضا: التّفكّر في أمر الله والاتّباع له[13].

٧- وقال أيضا: طاعة الله، والفقه في الدّين، والعمل به[14].

٨- وقال الرّبيع: الحكمة: الخَشية[15].

٩- وقال إبراهيم: الحكمة الفهم[16].

١٠- وقال زيد بن أسلم والحسن: الحكمة: الورع[17].

الموضع السّادس

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾[18]

معاني الحكمة في هذا الموضع هي المعاني الآنفة الذّكر.

---

[1] ابن عطيّة: المحرّر الوجيز
[2] ابن عاشور: التّحرير والتّنوير
[3] سورة البقرة، الآية 229.
[4] ابن عاشور: التّحرير والتّنوير
[5] سورة البقرة، الآية 249.
[6] ابن عطيّة: المحرّر الوجيز
[7] سورة البقرة، الآية 268.
[8] ابن عطيّة: المحرّر الوجيز
[9] م.ن :
[10] م.ن:
[11] م.ن:
[12] م.ن:
[13] م.ن:
[14] م.ن:
[15] م.ن:
[16] م.ن
[17] م.ن:
[18] سورة البقرة، الآية 268.

*** مواضع الحكمة في سورة ءال عمران ومعانيها**

ورد لفظ الحكمة في سورة ءال عمران في ثلاثة مواضع، كالآتي:-

الموضع الأوّل

﴿ويعلّمه الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل﴾[1]

الحكمة: هي السّنّة الّتي يوحيها إليه في غير كتاب[2].

الموضع الثّاني

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النّبيئين لما ءاتيناكم من كتب وحكمة﴾[3]

الخطاب للنّبيئين، والحكمة ههنا بمعنى: الشّرائع[4].

الموضع الثّالث

﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾[5]

الحكمة: السّنّة المتعلّمة من لسانه ﷺ[6]

*** مواضع الحكمة في سورة النّساء ومعانيها**

ورد لفظ الحكمة في سورة النّساء في موضعين:-

الموضع الأوّل

﴿فقد ءاتينا ءال إبراهيم الكتاب والحكمة وءاتيناهم ملكا عظيما﴾[7]

الحكمة: الفهم في الدّين وما يكون ممّا لم ينصّ عليه الكتاب[8].

الموضع الثّاني

﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾[9]

الحكمة: النّبوءة[10]، وقال الطّبريّ: الحكمة: هي ما كان في الكتاب مجملا ذكره، من حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وأحكامه، ووعده ووعيده[11].

*** مواضع الحكمة في سور: المائدة، والنّحل، والإسراء، ولقمان، والأحزاب، وص، والزّخرف، والقمر، والجمعة، ومعانيها**

ورد لفظ الحكمة في هذه السّور مرّة واحدة، كما يأتي:-

*** معنى الحكمة سورة المائدة**

﴿وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل﴾[12]

---

[1] سورة ءال عمران، الآية 48.
[2] الطّبريّ: جامع البيان
[3] سورة ءال عمران، الآية 80.
[4] تفسير البغوي
[5] سورة ءال عمران، الآية 164.
[6] ابن عطيّة
[7] سورة النّساء، الآية 53.
[8] تفسير ابن عطيّة.
[9] سورة النّساء، الآية 112.
[10] ابن عاشور: التّحرير والتّنوير
[11] الطّبريّ: جامع البيان
[12] سورة المائدة، الآية 112.

الحكمة: هي الفهم، والإدراك في أمور الشّرع، وقد وهب الله الأنبياء منها ما هم به مختصّون، معصومون، لا ينطقون عن هوى[1].

*** معنى الحكمة سورة النّحل**

﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[2]

الحكمة: المقالة المحكمة وهي الحجّة القطعيّة المزيحة للشّبه[3].

معنى الحكمة سورة الإسراء

﴿ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة﴾[4]

الحكمة: قوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة[5].

معنى الحكمة سورة لقمان

﴿ولقد ءاتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله﴾[6]

الحكمة: هي الصّواب في المعتقدات، والفقه في الدّين والعمل[7].

معنى الحكمة سورة الأحزاب

﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من ءايات الله والحكمة﴾[8]

الحكمة: سنّة الله على لسان نبيّه ﷺ، دون أن يكون في قرآن متلوّ[9]

*** معنى الحكمة سورة ص**

﴿وشددنا ملكه وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[10]

الحكمة: هي النّبوّة، أو الفهم في الدّين وجودة النّظر، أو العلم الّذي لا تردّه العقول[11].

*** معنى الحكمة سورة الزّخرف**

﴿قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه﴾[12]

الحكمة: هي معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله[13].

*** معنى الحكمة سورة القمر**

﴿حكمة بالغة فما تغن النّذر﴾[14]

الحكمة: إتقان الفهم وإصابة العقل، والمراد هنا الكلام الّتي يتضمّن الحكمة ويفيد سامعه حكمة، وهو من المجاز العقليّ[15].

---

[1] ابن عطيّة
[2] سورة النّحل، الآية 125.
[3] الآلوسي
[4] سورة الإسراء، الآية 39.
[5] ابن عطيّة
[6] سورة لقمان، الآية 11.
[7] ابن عطيّة
[8] سورة الأحزاب، الآية 34.
[9] ابن عطيّة
[10] سورة ص، الآية 19.
[11] ابن عطيّة
[12] سورة الزّخرف، الآية 63.
[13] الرّازي (فخر الدّين): مفاتيح الغيب
[14] سورة القمر، الآية 5.
[15] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير

*** معنى الحكمة سورة الجمعة**

﴿يتلوا عليهم ءاياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾[1]

الحكمة: السّنّة الّتي هي على لسانه ﷺ[2]

نلاحظ تعدّد معاني الحكمة واختلافها في سور القرآن الكريم، وقد اجتهد بعض العلماء في تبويبها وجمع معانيها وفق عناوين رئيسيّة، ومنهم الفيروزآباديّ الّذي أحصى معاني الحكمة في ستّة أوجه كما يأتي.

*** معاني الحكمة في القرآن حسب الفيروزآباديّ**

قال الفيروزآباديّ: وردت الحكمةفي القرآن على ستّة أوجهٍ[3]:-

الأوّل: بمعنى النبوّة والرّسالة: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكتاب والحكمة﴾[4]، ﴿وَآتَيْنَاهُ الحكمة﴾[5] ،﴿وآتَاهُ الله الملك والحكمة﴾[6] أي النبوّة.

الثاني: بمعنى القرآن والتّفسير والتأويل وإصابة القول فيه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[7]

الثالث: بمعنى فهم الدّقائق والفقه في الدّين ﴿وَآتَيْنَاهُ الحكم صَبِيّاً﴾[8] أي فهم الأَحكام.

الرّابع: بمعنى الوعظ والتّذكير ﴿فَقَدْآتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الكتاب والحكمة﴾[9] أى المواعظ الحسنة، ﴿أولائك الذين آتَيْنَاهُمُ الكتاب والحكم والنبوة﴾[10]

الخامس: آيات القرآن وأَوامره ونواهيه ﴿ادع إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[11]

السّادس: بمعنى حُجّة العقل على وَفْق أَحكام الشّريعة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة﴾[12] أَى قولاً يوافق العقل والشّرع.

*** تعريف الموعظة**

*** الموعظة في اللّغة**

قال ابن فارس: "وَعَظَ: الْوَاوُ وَالْعَيْنُ وَالظّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فَالْوَعْظُ التّخْوِيفُ. وَالْعِظَةُ الِاسْمُ مِنْهُ. قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ التّذْكِيرُ بِالْخَيْرِ وَمَا يَرِقُّ لَهُ قَلْبُه"[13].

---

[1] سورة الجمعة، الآية 2.
[2] ابن عطيّة
[3]الفيروزآباديّ (محمّد بن يعقوب): بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمّد علي النّجّار، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، القاهرة، 1416هـ-1996م، 490/2-491.
[4] سورة ءال عمران، الآية 48.
[5] سورة ص، الآية 19.
[6] سورة البقرة، الآية 249.
[7] سورة البقرة، الآية 268.
[8] سورة مريم، الآية 11.
[9] سورة النّساء، الآية 53.
[10] سورة الأنعام، الآية 90.
[11] سورة النّحل، الآية 125.
[12] سورة لقمان، الآية 11.
[13] ابن فارس (أحمد): معجم مقاييس اللّغة، 126/6.

وقال ابن منظور: "الوَعْظ والعِظةُ والعَظةُ والمَوْعِظةُ: النُّصْح والتذْكير بالعَواقب؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ :هُوَ تَذْكِيرُكَ للإِنسان بِمَا يُلَيِّن قلبَه مِنْ ثَوَابٍ وعِقاب"[1]

وعرّفها الشّريف الجرجاني بقوله:" الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة"[2]

وقال ابن عاشور: "الْوَعْظُ :الْأَمْرُ بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ بِطَرِيقَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ وَتَرْقِيقٌ يَحْمِلَانِ عَلَى الِامْتِثَالِ، وَالِاسْمُ مِنْهُ الْمَوْعِظَةُ"[3]

يمكن أن نستنتج أنّ أهمّ المعاني اللّغويّة للموعظة هي: **النّصح مع التّخويف**، فكيف جاء لفظ الموعظة في القرآن الكريم؟

*** الموعظة في القرآن الكريم**

ورد لفظ الموعظة في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجها[4]، كالآتي:-

1-أَعِظُكَ[5]، 2- أوعظت[6]، 3- أعظكم[7]، 4- تعظون[8]، 5- يعظكم[9]، 6- يعظه[10]، 7- عظهم[11]، 8-فعظوهنّ[12]، 9- توعظون[13]، 10- يوعظ[14]، 11- يوعظون[15]، 12- الواعظين[16]، 13- موعظة[17].

*** السّور التي ورد فيها لفظ الموعظة ومعانيها**

ورد لفظ الموعظة خمسا وعشرين مرّة في ثلاث عشرة سورة من القرآن الكريم: أربع مرّات في سورتي البقرة والنّساء، ومرّتين في سور: الأعراف وهود والنّحل والنّور والشّعراء، ومرّة واحدة في: ءال عمران، والمائدة، ويونس، ولقمان، وسبأ، والمجادلة، والطّلاق.

---

[1] ابن منظور (محمّد بن مكرم): لسان العرب، 466/7.
[2] الشّريف الجرجاني (علي بن محمّد): التّعريفات، دار الكتب العلميّة، بيروت_لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، 236.
[3] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير، 108/5.
[4] إبراهيم (محمّد الحمد): أدب الموعظة، مؤسّسة الحرمين الخيريّة، ط1، 1424هـ، 7-8.
[5] سورة هود، الآية 46.
[6] سورة الشّعراء، الآية 136.
[7] سورة سبأ، الآية 46.
[8] سورة الأعراف، الآية 164.
[9] سورة البقرة، الآية 229، وسورة النّساء، الآية 57، وسورة النّحل، الآية 90، وسورة النّور، الآية 17.
[10] سورة لقمان، الآية 12.
[11] سورة النّساء، الآية 62.
[12] سورة النّساء، الآية 34.
[13] سورة المجادلة، الآية 3.
[14] سورة البقرة، الآية 230، وسورة الطّلاق، الآية 2.
[15] سورة النّساء، الآية 65.
[16] سورة الشّعراء، الآية 136.
[17] سورة البقرة، الآيتان (65-274)، وسورة ءال عمران، الآية 138، وسورة المائدة، الآية 48، وسورة الأعراف، الآية 145، وسورة يونس، الآية 57، وسورة هود، الآية 119، وسورة النّحل، الآية 125، وسورة النّور، الآية 34.

*** ألفاظ الموعظة في سورة البقرة ومعانيها**

ورد لفظ الموعظة أربع مرّات في سورة البقرة، كالآتي:-

الموضع الأوّل

﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتّقين﴾[1]

الموعظة: ما به الوعظ، وهو التّرهيب من الشّر[2].

الموضع الثّاني

﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾[3]

الموعظة: النّصح والتّذكير بما يلين القلوب، ويحذّر الموعوظ[4]

الموضع الثّالث

﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[5]

يوعظ: يذكّر به ويخوّف[6]

الموضع الرّابع

﴿فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله﴾[7]

موعظة: وعظ وزجر كالنّهي عن الرّبا واستحلاله[8]

*** ألفاظ الموعظة في سورة النّساء ومعانيها**

ورد لفظ الموعظة في سورة النّساء في أربعة مواضع كالآتي:-

الموضع الأوّل

﴿واللّاتي تخافون نشوزهن فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ﴾[9]

فعظوهنّ: ذكّروهنّ أمر الله، واستدعوهنّ إلى ما يجب عليهنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ[10]

الموضع الثّاني

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به﴾[11]

الوعظ: التّذكير والنّصح، وقد يكون فيه زجر وتخويف[12].

الموضع الثّالث

﴿أولائك الّذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾[13]

---

[1] سورة البقرة، الآية 65.
[2] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[3] سورة البقرة، الآية 229.
[4] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[5] سورة البقرة، الآية 230.
[6] أبو حيّان: البحر المحيط
[7] سورة البقرة، الآية 274.
[8] الآلوسي
[9] سورة النّساء، الآية 34.
[10] ابن عطيّة
[11] سورة النّساء، الآية 57.
[12] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[13] سورة النّساء، الآية 62.

عظهم: معناه بالتّخويف من عذاب الله، وغيره من المواعظ[1].

الموضع الرّابع

﴿ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا﴾[2]

ما يوعظون به: ما يؤمرون به أمر تحذير وترقيق[3]

ألفاظ الموعظة في سورة الأعراف ومعانيها

ورد لفظ الموعظة في سورة الأعراف، في موضعين، على النّحو الآتي:-

الموضع الأوّل

﴿وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلا لكلّ شيء﴾[4]

موعظة: اسم مصدر الوعظ، وهو نصح بإرشاد مشوب بتحذير من لحاق ضرّ في العاقبة أو بتحريض على جلب نفع، مغفول عنه[5]

الموضع الثّاني

﴿وإذ قالت أمّة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذّبهم عذابا شديدا﴾[6]

لم تعظون: هذا القول جاء على لسان فرقة من فرق بني إسرائيل، فقد افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت يوم السّبت، وأخرى نهت عن ذلك واعتزلت، وثالثة سكتت فلم تنه و لم تعص، وقالت للفرقة النّاهية الواعظة: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم؟ فهلكت الفرقة العاصية، ونجت النّاهية، واختلف في الثّالثة: هل هلكت لسكوتها أو نجت لتركها العصيان؟[7]

*** ألفاظ الموعظة في سورة هود ومعانيها**

ورد لفظ الموعظة في سورة هود في موضعين، كالآتي:-

الموضع الأوّل

﴿إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين﴾[8]

أعظك: أنهاك وأحذّرك كراهة أن تكون من الآثمين[9]

الموضع الثّاني

﴿وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[10]

موعظة: هو التّذكير بما يصدّ المرء عن عمل مضرّ[11]

ألفاظ الموعظة في سورة النّحل ومعانيها

ورد لفظ الموعظة في سورة النّحل في موضعين:-

---

[1] ابن عطيّة
[2] سورة النّساء، الآية 65.
[3] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[4] سورة الأعراف، الآية 145.
[5] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[6] سورة الأعراف، الآية 164.
[7] تفسير ابن جزي
[8] سورة هود، الآية 46.
[9] تفسير القرطبيّ
[10] سورة هود، الآية 119.
[11] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّوير

الموضع الأوّل

﴿يعظكم لعلّكم تذكّرون﴾[1]

يعظكم: الوعظ ههنا كلام يقصد منه إبعاد المخاطب به عن الفساد وتحريضه على الصّلاح[2]

الموضع الثّاني

﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[3]

الموعظة الحسنة: هي القول اللّين المقبول عند النّاس[4]

ألفاظ الموعظة في سورة النّور ومعانيها

ورد لفظ الموعظة في سورة النّور في موضعين كما يأتي:-

الموضع الأوّل

﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾[5]

يعظكم: يحذّركم من العود لمثله[6]

الموضع الثّاني

﴿ولقد أنزلنا إليكم ءايات مبيّنات ومثلا من الّذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتّقين﴾[7]

وموعظة: أي كلام أو حالة يعرف منها المرء مواقع الزّلل فينتهي عن اقتراف أمثالها[8]

*** ألفاظ الموعظة في سورة الشّعراء ومعانيها**

ورد لفظ الموعظة في سورة الشّعراء في موضعين في آية واحدة في قوله تعالى:

﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾[9]

أوعظت: المراد بالوعظ في هذا الموضع: التّخويف والتّحذير من شيء فيه ضرّ[10]

الواعظين: الموصوفين بالواعظين، وهو أشدّ في نفي الصّفة عنه من أن لو قيل: أم لم تعظ[11]

*** ألفاظ الموعظة ومعانيها في سور: ءال عمران، والمائدة، ويونس، ولقمان، وسبأ، والمجادلة، والطّلاق في سورة ءال عمران**

﴿هذا بيان للنّاس وهدى وموعظة للمتّقين﴾[12]

موعظة: التّحذير والتّخويف[13]

---

[1] سورة النّحل، الآية 90.
[2] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[3] سورة النّحل، الآية 125.
[4] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[5] سورة النّور، الآية 17.
[6] ابن عاشور (محمد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[7] سورة النّور، الآية 34.
[8] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[9] سورة الشّعراء، الآية 136.
[10] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[11] م.ن
[12] سورة ءال عمران، الآية 138.
[13] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير

*** في سورة المائدة**

﴿وءاتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدّقا لما بين يديه من التّوراة وهدى وموعظة للمتّقين﴾[1]

موعظة: كلام يليّن القلب ويزجر عن فعل المنهيّات[2]

*** في سورة يونس**

﴿يا أيّها النّاس قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصّدور وهدى وموعظة للمتّقين﴾[3]

موعظة: كلام فيه نصح وتحذير ممّا يضرّ[4]

*** في سورة لقمان**

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنيّ لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم﴾[5]

الوعظ في هذا الموضع: زجر مقترن بتخويف[6]

*** في سورة سبأ**

﴿قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثمّ تتفكّروا﴾[7]

أعظكم: الوعظ كلام فيه تحذير من مكروه، وترغيب في ضدّه[8]

*** في سورة المجادلة**

﴿ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾[9]

توعظون: من الوعظ، وهو التّذكير بالخير والتّحذير من الشّرّ بترغيب أو ترهيب[10]

*** في سورة الطّلاق**

﴿وأقيموا الشّهادة لله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[11]

يوعظ: من الوعظ، وهو التّحذير ممّا يضرّ والتّذكير المليّن للقلوب[12].

*** موعظة النّبيّ ﷺ**

أوتي النّبيّ ﷺ، جوامع الكلم، وهو خير الواعظين، فعنعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَقال: "صَلّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْفَجْرَ، ثُمّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ"[13]

يؤكّد هذا الحديث أنّ التّخويف من مقوّمات الموعظة، فهل تشتمل الموعظة الحسنة على التّخويف أيضا؟

---

[1] سورة المائدة، الآية 48.
[2] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[3] سورة يونس، الآية 57.
[4] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[5] سورة لقمان، الآية 12.
[6] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[7] سورة سبأ، الآية 46.
[8] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[9] سورة المجادلة، الآية 3.
[10] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[11] سورة الطّلاق، الآية 2.
[12] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير
[13] أبو داود (سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب السّنّة، باب في لزوم السّنّة، ط1، 1430هـ-2009م، 16/7.

*** الموعظة الحسنة**

تعدّدت تعريفات الموعظة الحسنة، وقد اخترت ثلاث تعريفات، للزّمخشريّ، وابن عطيّة، وابن عاشور، وهي كالآتي:

قال الزّمخشريّ: "الْمَوْعِظَة الْحَسَنَةهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها"[1]

وقال ابن عطيّة: "الموعظة: التخويف والترجية والتلطف بالإنسان بأن يحله ويبسطه ويجعله بصورة من يقبل الفضائل"[2]:

وقال ابن عاشور:" الْقَوْلُ الّذِي يُلَيِّنُ نَفْسَ الْمَقُولِ لَهُ لِعَمَلِ الْخَيْرِ. وَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْحِكْمَةِ لِأَنَّهَا حِكْمَةٌ فِي أُسْلُوبٍ خَاصٍّ لِإِلْقَائِهَا... وَوَصْفُهَا بِالْحُسْنِ تَحْرِيضٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَيِّنَةً مَقْبُولَةً عِنْدَ النّاسِ، أَيْ حَسَنَةً فِي جِنْسِهَا"[3]

نستخلص من هذه التّعاريف، أنّ الموعظة الحسنة معيار راق من معايير جودة الخطاب الإسلاميّ، يفهمها الْمُخاطَبُ، وتشتمل على التّخويف ولكن بأسلوب يقبله السّامع ويرتضيه، من أجل ذلك وصفت بالحسنة.

*** الفرق بين الحكمة والموعظة الحسنة**

لسائل أن يسأل: لماذا قيّدت الموعظة بالحسنة و لم تقيّد الحكمة بمثل ذلك؟

أجاب ابن عاشور عن هذه الإشكاليّة ببيان أنّ الحكمة تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه فلا تكون إلا في حالة حسنة، وأمّا الموعظة فلما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعَظِ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، فجاء الأمر بأن تكون حسنة[4].

جاء أمر الله سبحانه وتعالى بأن تكون الموعظة حسنة، وهو ما يحتّم على المخَاطِب أن يكون حَكيما فيتخيّر خطابا دينيّا معتدلا مقبولا من قبل المخاطبين، حتّى يؤثّر فيهم، ويصلح ما فسد من أخلاقهم وعقائدهم، فما هو مفهوم الخطاب الدّينيّ المعتدل؟

*** الخطاب الدّينيّ**

*** تعريف الخطاب الدينيّ**

*** الخطاب في اللّغة**

من فعل خَطَبَ: الْخَاءُ وَالطّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ. وَفِي النِّكَاحِ الطَّلَبُ أَنْ يُزَوِّجَ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾[5].وَالْخُطْبَةُ: الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ. وَيُقَالُ اخْتَطَبَ الْقَوْمُ فُلَانًا، إِذَا دَعَوْهُ إِلَى تَزَوُّجِ صَاحِبَتِهِمْ. وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ

[1] الزّمخشريّ (محمود بن عمرو): الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.ط، 644/2.
[2] ابن عطيّة (عبد الحقّ بن غالب): المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1422هـ، 432/3.
[3] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير، 321/14.
[4] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير، 329/14.
[5] سورة البقرة، الآية 233.

يَقَعُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ[1].

وجاء في تاج العروس: " الخطابُ هُوَ تَوْجِيهُ الكَلَامِ نَحْوَ الغَيْرِ للإِفْهَامِ"[2]

بناء على ما تقدّم، فإنّ الخطاب في اللّغة معناه: الكلام الّذي يقصد به الإفهام. فما هو مفهوم الخطاب الدّينيّ؟

*** الخطاب الدينيّ**

المقصود بالخطاب الدّينيّ ههنا هو الخطاب الإسلاميّ، وهو خطاب التّبليغ للتّأثير والتّغيير، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمرجع الأوثق فيه: القرآن الكريم، وما صحّ عن رسول الله ﷺ، وهو خطاب يقبل التّجديد والتّحسين، ويجب أن يكون مواكبا لمتغيّرات العصر، ومعالجا لقضايا المجتمع.

وقد عرّفه أحد الباحثين بقوله: "الخطاب الإسلاميّ المعاصر، هو الكلام المتعلّق بكلّ ما جاء به الإسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق ممّا يقصد به تبليغهم للنّاس وتوجيههم، لالتزام أحكامه ومبادئه، مع مراعاة أن يكون هذا الخطاب مرتبطا بالواقع غير منفصل عنه"[3]

*** الحكمة والموعظة الحسنة في دعوة إبراهيم لأبيه وقومه**

*** دعوة إبراهيم لأبيه: الحوار المتّزن المؤثّر والصّبر على البلاء**

أولاً– صفات إبراهيم عليه السّلام في القرآن الكريم

جمع خليل الله إبراهيم عليه السّلام خصال الخير وصفات الكمال، وهو أعظم أنبياء الله بعد نبيّنا محمّد ﷺ[4]،

وسأقتصر على ذكر أهمّ صفات إبراهيم عليه السّلام، الّتي يمكن أن ينهل منها الخطيب اليوم حتّى يستميل المخاطبين، ويكون مؤثّرا مقنعا في دعوته إلى الله تعالى، لأنّ التّحمّل بصالح الأخلاق هو السّبيل الأمثل إلى نشر الدّعوة الإسلاميّة وقيمها السّمحة.

نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام مثلٌ في اليقين بالله كما قال ابن عاشور[5]، ومن أهمّ صفاته:–

الصّفة الأولى: أمّة

﴿إِنَّ إِبراهيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[6]: أي إماما في الخير، يعلّم النّاس ويقودهم إلى طريق الخير، وقيل أيضا: قائما بالعبادة مقام أمّة[7].

---

[1] ابن فارس (أحمد): معجم مقاييس اللّغة، 198/2.

[2] مرتضى (محمّد): تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1422هـ-2001م، 70/1.

[3] العربي (هشام): تجديد الخطاب الإسلاميّ، مؤتمر بناء الشّخصيّة المسلمة في القرن الحادي والعشرين، 4 أفريل 2012م، د.ت.ط، ص5.

[4] قال السّيوطي: "ونعتقد أنّ أفضل الخلق على الإطلاق حبيب الله المصطفى ﷺ ... وخليل الله إبراهيم يليه في التّفضيل": (السّيوطيّ (جلال الدّين): إتمام الدّراية لقراء النقاية، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م، ص17).

[5] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير، 143/28.

[6] سورة النّحل: الآية 120.

[7] القدومي (سامي): التّفسير البياني لما في سورة النّحل من دقائق المعاني، دار الوضّاح، الأردن، عمان، ص241.

إنّ تعليم النّاس الخير، ورفع ظلمات الجهل عنهم، وهدايتهم إلى سبل الرّشاد، لهو من أوكد الواجبات على كلّ متصدّر لأمر الدّعوة، ففي الحديث: "إنّ اللهَ وملائِكَتَهُ وَأَهْلَ السّمواتِ وَالأَرْضِ حَتّى النّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتّى الحُوْتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلّمِ النّاسِ الخَيْرَ[1]".

الصّفة الثّانية: القنوت

﴿قَانِتًا للهِ﴾[2]: أي مطيعا لله[3]

طاعة الله عزّ وجلّ تورث الخير والفلاح والنّجاح، والمؤمن لا يكون إلّا مطيعا لله ولرسوله ﷺ، ﴿وأطيعوا الله والرّسول لعلّكم ترحمون﴾[4].

لقد تجلّت طاعة إبراهيم عليه السّلام لله سبحانه وتعالى في كلّ مراحل حياته، وفي أصعب الظّروفوالمواقف، حيث ترك زوجه مع ابنه الرّضيع بواد غير ذي زرع حينما أمره ربّه،واستسلم للرّؤيا وهمّ بذبح ابنه، استجابة وطاعة لمولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[5].

الصّفة الثّالثة: الحنيفيّة

قال تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾[6]

الحنيفيّة معناها الإسلام، وحنيفا: أي مخلصا دينه لله وحده[7].

هذه الصّفة من صفات عباد الله المؤمنين، الّتي أمرهم ربّ العالمين بها، اتّباعالملّة أبينا إبراهيم الخليل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[8]

والوصيّة من أبلغ طرق الدّعوة، والإيصاء أمر أو نهي يتعلّق بصلاح المخاطب خصوصا أو عموما[9]

*** الصّفة الرّابعة:الصّدق**

قال الله تعالى ﴿اذْكُرْ فِي الكِتابِ إبراهيمَ إِنّهُ كَانَ صِدّيقًا نَبِيئًا﴾[10]

وفي الصّدّيق قولان: أحدهما: أنّه مبالغة في كونه صادقا، وهو الّذي يكون عادته الصّدق، والثّاني: أنّه الّذي يكون كثير التّصديق بالحقّ حتّى يكون مشهورا به[11].

---

[1] التّرمذيّ (محمّد بن عيسى): سنن التّرمذيّ، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، ط2، 1395هـ-1975م، 50/5، رقم الحديث 2685.

[2] سورة النّحل: الآية 120.

[3] الطّبريّ(محمّد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التّربية والتّراث، د.ت.ط، 317/17.

[4] سورة ءال عمران، الآية 132.

[5] سورة البقرة: الآية 123.

[6] سورة ءال عمران، الآية 66.

[7] الطّبريّ (محمّد بن جرير): جامع البيان، 107/3.

[8] سورة النّساء: الآية 124.

[9] ابن عاشور (محمّد الطّاهر): التّحرير والتّنوير، 727/1.

[10] سورة مريم: الآية 40.

[11] الفخر الرّازي (محمّد بن عمر): التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي، ط3، 1420هـ، 542/21.

دعا خليل الله ربّه فقال:﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[1]، فاستجاب الله دعاءه وجعل له الذّكر الجميل،والقبول العامّ، والثّناء الحسن، بعد مماته،وأعظم ذكر لخليل الله إبراهيم، ما كان على لسان سيّد الأوّلين والآخرين، قال البقاعيّ: "ومن أعظمه أن جعله الله شجرة مباركة فرّع منها الأنبياء الذين أحيى بهم عليهم الصلاة والسلام ذكره الذي من أعظمه ما كان على لسان أعظمهم النّبيّ الأمّيّ ﷺ: صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم"[2]

والصّدق خلق عظيم أوجبه الله على عباده المؤمنينحيث قال: ﴿يَا أَيُّها الّذينَ ءَامنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾[3]"، كما حثّنا عليه رسولنا ﷺ في قوله: "عليكم بالصّدق فإنّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة"[4]، والبرّ كلمة جامعة لكلّ أنواع الخير.

وبناء عليه، فإنّ من أهمّ صفات الخطيب هو الصّدق، لأنّه يبلّغ عن رسول الله ﷺ، فأعظم كذب هو الكذب على المصطفى ﷺ.

الصّفة الخامسة: الحلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[5]

والحلم معناه في اللّغة: الأناة والعقل، وجمعه أحلام، وحُلوم[6]، واصطلاحا: هو ضبط النّفس والطّبع عن هيجان الغضب.

وهذا الخلق العظيم لا يتّصف به إلّا ذو حظّ عظيم، فالحلم يحتاج مكابدة وضبطا للنّفس، فهذا نبيّنا ﷺ يسأل أصحابه عن الصُّرعة، فيجيب بعضهم أنّه القويّ الّذي لا تصرعه الرّجال، فيقول ﷺ: "الصّرعة الذّي يمسك نفسه عند الغضب"[7].

وهذا الخلق يتأكّد في حقّ كلّ واعظ، فلو غاب الحلم عن الخطيب والدّاعية، لانفضّ النّاس من حوله وتركوه.

الصّفة السّادسة: التّأوّه

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[8]

الأوّاه هو كثير التّأوّه، وهو إظهار الخشية لله تعالى بقول "أَوَّهْ"، وقيل الأوّاه أي المؤمن بالحبشيّة، وقيل أيضا معناها: المؤمن التوّاب، والمسبّح الكثير الذّكر لله تعالى[9].

وهذه الصّفة يجب أن تلازم كلّ مسلم، وكلّ خطيب، حتى يكون من المفلحين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تفلحون﴾، وخشية الله ﷻ من

---

[1] سورة الشّعراء : الآية 84.
[2] البقاعي (إبراهيم بن عمر): نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، د.ت.ط، 55/14.
[3] سورة التّوبة: الآية 120.
[4] البخاريّ (محمّد بن إسماعيل، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (يا أيّها الّذين ءامنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصّادقين)، 103/4، رقم الحديث 6094.
[5] سورة هود: الآية 74.
[6] ابن منظور: لسان العرب، 145/12.
[7] ابن حبّان (محمّد): المسند الصّحيح على التّقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، تحقيق: محمّد علي سونمز، وخالص آيدمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433ه-2012م، 184/5، رقم الحديث 4167.
[8] سورة التّوبة: الآية 115.
[9] الطّبريّ (محمّد بن جرير): جامع البيان، 529/14-530.

أخلاق المصطفى ﷺ، ففي الصحيح: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية"[1].

*** الصّفة السّابعة: الكرم**

كان إبراهيم عليه السّلام يسمّى أبا الضّيفان، قال المناويّ: "كان يمشي الميل والميلين في طلب من يتغدّى معه"[2]

وقال رسول الله ﷺ: "كان أوّل من ضيّف الضّيف إبراهيم عليه السّلام"[3]

*** ذكر إبراهيم في القرآن**

ورد اسم "إبراهيم" تسعا وستين مرة[4]: خمس عشرة مرة في "البقرة"، وإحدى عشرة في "آل عمران"، وأربع مرات في كل من "الأنعام "و"هود "و"الأنبياء"، وثلاث مرات في "التوبة "و"مريم "و"الحج "و"الصافات"، ومرتين في "يوسف "و"النمل "و"العنكبوت "و"الممتحنة"، ومرّة واحدة في كلّ من: "إبراهيم"، و"الحجر"، و"الشّعراء"، و"الأحزاب"، و"ص"، و"الشّورى"، و"الزّخرف"، و"الذّاريات"، و"النّجم"، و"الحديد"، و"الأعلى".

موعظة إبراهيم عليه السّلام لأبيه

يمكن تقسيم موعظة إبراهيم لأبيه إلى أربعة مواعظ تفصيليّة:-

الموعظة الأولى

"يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا"

الموعظة الثّانية

"يا أبت إنّي قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتّبعني أهدك صراطا سويّا"

الموعظة الثّالثة

"يا أبت لا تعبد الشّيطان إنّ الشّيطان كان للرّحمان عصيّا"

الموعظة الرّابعة

"يا أبت إنّي أخاف أن يمسّك عذاب من الرّحمان فتكون للشّيطان وليّا"

تظهر الحكمة عند خطاب إبراهيم لأبيه في الآتي:-

أوّلا: افتتح إبراهيم عليه السّلام خطابَهُ أباه بندائه، مع أنّ الحضرة مغنية عن النّداء، قصدا لإحضار سمعه وذهنه لتلقّي ما سيلقيه، والنّداء أسلوب قرآنيّ، ومثاله خطاب المؤمنين: "يا أَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا"، إذ تكرّر هذا اللّفظ: تسعة وثمانين مرّة في

[1] البخاريّ (محمّد بن إسماعيل): الجامع الصّحيح، باب من لم يواجه النّاس بالعتاب، 104/4-105، رقم الحديث 6101.
[2] المناويّ (عبد الرّؤوف): فيض القدير شرح الجامع الصّغير، تعليق: ماجد الحمويّ، المكتبة التّجاريّة الكبرى، مصر، ط1، 1356ه، 543/4.
[3] البيهقيّ (أحمد بن الحسين): شعب الإيمان، تحقيق: عبد العليّ عبد الحميد، مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط1، 1423ه-2003م، 137/12.
[4] عبد الباقي (محمّد فؤاد): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، 2-3.

القرآن الكريم، قال ابن مسعود: "إذا سمعت الله تبارك وتعالى يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأرعها سمعك، فإنّه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه"[1].

ثانيا: توجّه إبراهيم إلى أبيه بوصف الأبوّة: "يَا أَبَتِ": إيماء أنّه مخلص له النّصيحة.

ثالثا: ألقى إليه حجّة فساد عبادته في صورة الاستفهام: لم تعبد؟ منبّها على خطئه حينما يتأمّل في عمله، ويرجع إلى نفسه.

رابعا: ابتدأ بالحجّة الرّاجعة إلى الحسّ، إذ قال له: لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر؟

خامسا: لم يسمّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنّه قال إنّ معي طائفة من العلم ليست معك[2].

أراد إبراهيم عليه السّلام أن يبيّن لأبيه حقارة الأصنام، وأنّها لا تستحقّ العبادة، وقد توخّى في موعظته قوّة الحجّة، فقد وصف آلهتهم بثلاث صفات، كلّ صفة تقدح في ألوهيّتها، فهي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع

نتساءل ههنا عن موقف آزر من هذه الموعظة الحسنة: هل أثّرت فيه؟ هل رجع إلى رشده وترك الباطل أم أنّه بقي على كفره وغيّه؟

*** صدّ الوالد والصّبر على الأذى**

لم تجد دعوة إبراهيم لأبيه قبولا وتسليما، بل كان الصدّ والأذى من قبل آزر، ﴿قَال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني مليّا﴾[3]

قابل آزر التلطّف والتودّد بالعنف والغلظة، إلّا أنّ نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام لم يقنط و لم ييأس، و لم يقابل تلك الشّدّة بمثلها، كما يفعل الأبناء الجهلة، بل كان جوابه: ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنّه كان بي حفيّا﴾[4]، وهذا شأن الدّعاة المخلصين، والأنبياء المرسلين، وفي مقدّمتهم سيّدنا محمّد ﷺ، فهو الّذي لا يزيده جهل الجاهل إلّا حلما، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ :مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"[5]

إنّ موقف خليل الله إبراهيم عليه السّلام تجاه والده المشرك المعاند، هو خلق إسلاميّ، فالإحسان إلى الوالدين ولو كانا مشركين، واجب شرعيّ، وأمر إلاهيّ، قال الله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدّنيا معروفا﴾[6].

---

[1] ابن سلّام (القاسم): فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطيّة، ومحسن خرابة، ووفاء تقيّ الدّين، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ص74.
[2] الزّمخشريّ: الكشّاف، 19/3.
[3] سورة مريم: الآية 45.
[4] سورة مريم: الآية 46.
[5] البخاري (محمّد بن إسماعيل): صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النّبيّ ﷺ يعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم، 771/2.
[6] سورة لقمان، الآية 14.

لم تنفع كلّ أساليب إبراهيم الخليل في إقناع والده بدعوته، فانتقل إلى دعوة قومه، فكيف كانت هذه الدّعوة، وما هو السّبيل الّذي انتهجه أبونا إبراهيم عليه السّلام حتّى يخرج قومه من ظلمات الشّرك إلى نور الإيمان؟

*** دعوة إبراهيم لقومه**

يصوّر لنا القرآن الكريم هذه الدّعوة في سورة العنكبوت:-

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[1]

تميّزت دعوة إبراهيم عليه السّلام لقومه، بالدّقّة والوضوح، فقد خاطب العقول واستمال القلوب، وعرض دعوته بترتيب واضح ودقيق[2]، كالآتي:-

أوّلا: بدأ ببيان حقيقة الدّعوة الّتي يدعوهم إليها، وهي التّوحيد: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾

ثانيا: أثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تضمنته من الخير لهم ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

ثالثا: بيّن فساد ما هم عليه من العقيدة: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾

رابعا: وجّههم إلى طلب الرّزق من الخالق، فالأصنام لا تنفعهم بشيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾

خامسا: تحديد الدّعوة إلى عبادة الله وحده، فهو الرزّاق المستحقّ للعبادة والشّكر: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾

سادسا: ذكّرهم بلقاء الله، وخوّفهم من لقاء الله ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

سابعا: بيّن لهم إن أصرّوا على تكذيبهم فلن يضرّوا الله شيئا ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾.

إنّ الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن، هو ما التزم به خليل الله إبراهيم عليه السّلام، ولكنّ هذه الدّعوة قوبلت بالعناد والطّغيان، فهل لجأ نبيّ الله إلى أسلوب آخر؟

لقد سجّل لنا القرآن الكريم ثلاث صور من الحوار بين إبراهيم من جهة، وأبيه وقومه من جهة أخرى، في الأنبياء، والشّعراء، والصّافّات.

الحوار الأوّل

جاء في سورة الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وجدنَا آبَاءَنَا لَهَا عابدين قَالَ لقد كُنْتُم أَنْتُم وآباؤكم فِي ضلال مُبين قَالُوا أجئتنا بِالْحَقِّ أم أَنْت من اللاعبين قَالَ بل ربكُم رب السَّمَوَات

[1] سورة العنكبوت: الآية 15-17.

[2] الرّحيلي (محمّد بن أحمد): منهج القرآن الكرين في دعوة المشركين إلى الإسلام، عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1424ه-2004م، 200/1.

وَالْأَرْض الّذي فطرهن وَأَنا على ذَلِكُم من الشّاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أَن تولّوا مُدبرين فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[1]

الحوار الثّاني

في سورة الشّعراء، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَفَإِنّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاّ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾[2]

الحوار الثّالث

في سورة الصّافّات، قال الله تعالى: ﴿وَإِنّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لأبيه وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنّي سَقِيمٌ فَتَوَلّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[3]

لم يتعرّض إبراهيم عليه السّلام لمخالفيه بالإساءة، ولكنّه حطّم أصنامهم ليردّهم إلى صوابهم، قال القرطبيّ: " لَمْ يَكْتَفِ بِالْمُحَاجّةِ بِاللّسَانِ بَلْ كَسّرَ أَصْنَامَهُمْ فِعْلَ وَاثِقٍ بِاللّهِ تَعَالَى، مُوَطّنٍ نَفْسَهُ عَلَى مُقَاسَاةِ الْمَكْرُوهِ فِي الذّبّ عَنِ الدّينِ"[4].

يمكن لنا أن نتوقّف عند هذا المشهد ونتساءل: هل من الحكمة تحطيم الأصنام؟

لقد استنفذ إبراهيم عليه السّلام كلّ الوسائل الحسيّة في دعوة قومه، ولكنّه لم يستطع إقناعهم بالدّلالة العقليّة فلجأ إلى الدّلالة الفعليّة، وأراهم أن لا فائدة من عبادة الأصنام، يقول الرّازي: "الطّرِيقَةُ الْفِعْلِيّةُ فَهِيَ قَوْلُهُ :وَتَاللّهِ لَأَكِيدَنّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلّوا مُدْبِرِينَ فَإِنّ الْقَوْمَ لَمّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِالدّلَالَةِ الْعَقْلِيّةِ عَدَلَ إِلَى أَنْ أَرَاهُمْ عَدَمَ الْفَائِدَةِ فِي عِبَادَتِهَا"[5]

حطّم إبراهيم الأصنام ليردّ قومه إلى الحقّ، فهل رجعوا إلى الحقّ؟

*** موقف قوم إبراهيم من دعوته:**

صوّر لنا القرآن الكريم صُنْعَقوم إبراهيم حينما غلبهم نبيّ الله بالحجّة والبرهان، فقد اعترفوا بادئ الأمر بظلمهم ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ﴾[6]، لكنّهم سرعان ما انقلبوا، ورجعوا إلى الباطل: ﴿ثُمّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾[7]، وتمادوا في غيّهم وظلمهم فأرادوا قتل خليل الله نصرة لباطلهم وأصنامهم : ﴿قَالُوا حَرّقُوهُ وانصُرُوا ءالهتكم

[1] سورة الأنبياء، الآية 51-58.
[2] سورة الشّعراء، الآية 69-77.
[3] سورة الصّافات، الآية 83-96.
[4] القرطبيّ (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط2، 297/11.
[5] الفخر الرّازي: التّفسير الكبير، 153/22.
[6] سورة الأنبياء: الآية 64.
[7] سورة الأنبياء: الآية الآية 65.

إن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1]، وكان اختيارهم تعذيبه بالنّار ليناسب العذاب ما فعله بآلهتهم الّتي جعلها جذاذا، لأنّ النّار أهول المعاقبات وأفظعها، فجمعوا الحطب شهرا ووضعوه في جَوْبَةٍ من الأرض، أحاطوا بها جدارا: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ﴾[2]، فلمّا صار ذلك الحطب كالجبل، أضرموا فيه النّار، حتّى كان على صفة لم يوجد في الأرض قطّ مثلها، ثمّ ألقَوْهُ فيه بالمنجنيقِ[3].

حينما ألقي إبراهيم في النّار، لم يترك الدّعاء، و لم ينس ربّه، وإنّما تضرّع إلى مولاه وخالقه، وقال حسبي الله ونعم الوكيل، فكيف كان الجزاء؟

*** جزاء إبراهيم عليه السّلام**

لما يئس إبراهيم من إيمان أبيه وقومه، اعتزلهم ودعا ربّه أن يهب له أهلا وولدا يتقوّى بهم حتّى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه: ﴿وأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[4]فجزاهالله خليله بالخيرات، وكان الجزاء كالآتي:-

أوّلا: نجّاه من عذاب النّار، ومن كيد قومه، وكانت النّار بردا وسلاما عليه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[5].

ثانيا: جعله إماما للنّاس: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

ثالثا: اتّخذه خليلا: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[6]، والخليل الّذي ليس في محبّته خلل، أي الّذي أحبّه واصطفاه محبّة تامّة، قال القرطبيّ: "وجائز أن يسمّى خليل الله، أي فقيرا إلى الله لأنّه لم يجعل فقره ولا فاقته إلّا إلى الله تعالى، روي أنّه لما رمي بالمنجنيق، وصار في الهواء، أتاه جبريل فقال ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا"[7]

رابعا: جعل في ذرّيّته النّبوءة والكتاب، فأكثر الأنبياء من ذرّيّة إبراهيم، وعلى ذرّيّته أنزل الله التّوراة، والإنجيل، والزّبور، والفرقان[8]، قال تعالى: ﴿ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوءَةَ والكِتَابَ﴾[9].

خامسا: كلّ الأمم تدّعيه وتقول هو منّا[10]، وهو من الأجر الّذي آتاه الله إيّاه في الدّنيا ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[11]

---

[1] سورة الأنبياء: الآية 67.
[2] سورة الصّافّات: الآية 97.
[3] البقاعيّ (إبراهيم بن عمر): نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، 444/12.
[4] سورة مريم: الآية 49.
[5] سورة الأنبياء: الآية 68.
[6] سورة النّساء: الآية 124.
[7] القرطبيّ (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، 400/5.
[8] ابن جزي (محمّد بن أحمد): التّسهيل لعلوم التّنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1461هـ، 125/2.
[9] سورة العنكبوت: الآية 26.
[10] القرطبي (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، 340/13.
[11] سورة العنكبوت : الآية 26.

سادسا: جعل الله له ذكرا جميلا، وقبولا عامّا، وثناء حسنا، و﴿جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1]، وقد كان ذلك إجابة من الله تعالى لدعائه حينما سأله فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[2]،

سابعا: أمر محمّدا ﷺ باتّباع ملّته في عقائد الشّرع، وفي التّبرّؤ من الأوثان، والتّزيّن بالإسلام[3]، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

أطاع إبراهيم عليه السّلام ربّه في كلّ ما أمره، حتّى قال الحقّ سبحانه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[5]، فكان جزاؤه في الدّنيا: محبّة جميع الأديان له، وكثرة الأنبياء في ذرّيّته، والسّيرة الطّيّبة، والذّكر الحسن... فهل اقتصر الذّكر الحسن في القرآن الكريم على نبيّ الله إبراهيم؟

أثنى الله في كتابه العزيز على الأنبياء جميعا وجعلهم قادة وقدوة، يقتدى بهم في دينهم، كما أثنى على العلماء والفقهاء، ومنهم لقمان الحكيم، الّذي أوتي الحكمة، وحملت سورة من سور القرآن الكريم اسمه، فمن هو لقمان الحكيم؟ وكيف بلغ هذه المنزلة؟ ولماذا خلّد القرآن العظيم موعظته؟

*** خاتمة**

توصّلت بعد هذا البحث إلى النّتائج الآتية:-

١- إبراهيم عليه السّلام مدرسة في الحوار ورمز من رموز الخطاب.

٢- إبراهيم عليه السّلام مدرسة في الصّبر، علينا أن نتّخذه أسوة حسنة، فقد صبر على جفاء الأبوّة، وعدوان العشيرة، والفتنة بالنّار، وهجران الأرض، والأمر بترك زوجه وابنه في الصّحراء...

٢- جزاء الصّبر عظيم في الدّنيا والآخرة: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهم بغيرِ حِسَابٍ﴾

٣- الدّعوة إلى الله وتعليم النّاس الخير من أعظم القربات، لأنّها وظيفة الأنبياء والمرسلين، ولكن ينبغي أن تكون على علم وبصيرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾.

٤- ينبغي على الدّاعية أن يصبر على الأذى، وألّا يترك النّصح والدّعاء لمخالفيه رحمة بهم اقتداء بسيّد الأنبياء والمرسلين ﷺ، ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

٥- على الإمام الخطيب أن يهتمّ بتحصيل المعارف والعلوم الّتي تمكّنه من الرّدّ على دعوات المبطلين وشبهاتهم، وأن يتوخّى في جدالهم أحسن الأساليب.

٦- أهمّ وسائل النّجاح في الحقل الدّعويّ هي الأخلاق الفاضلة، وخاصّة: الصّدق، والأمانة، والصّبر، والتّواضع، والإخلاص.

٧- الخطاب الدّينيّ المؤثّر هو الخطاب المعتدل الّذي يخاطب العقل والقلب في آن واحد.

٨- على الخطيب أن يتخيّر أحسن الأساليب عند مخاطبة النّاس ونصحهم، مع اللّين والرّفق والشّفقة.

٩- الخطاب المعتدل لا يعني أنّ الدّاعية لا يصدع بالحقّ، وإنّما يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

[1] سورة مريم: الآية 50.
[2] سورة الشّعراء : الآية 84.
[3] القرطبيّ (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، 198/10.
[4] سورة النّحل: الآية 123.
[5] سورة النّجم: الآية 36.

١٠- الهداية من عند الله، والإمام الخطيب مذكّر، وليس بمصيطر.

١١- ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التّحريم: الآية 8).

*** المراجع**

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدنيّ.

إبراهيم (محمّد الحمد): أدب الموعظة، مؤسّسة الحرمين الخيريّة، ط1، 1424هـ.

عبد الباقي (محمّد فؤاد): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ-2001م.

البخاري (محمّد بن إسماعيل): الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمر رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه، تحقيق: صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1421ه-2001م.

البغويّ (الحسين بن مسعود): معالم التّنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 1420هـ.

البيهقيّ (أحمد بن الحسين): شعب الإيمان، تحقيق: عبد العليّ عبد الحميد، مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط1، 1423ه-2003م.

التّرمذيّ (محمّد بن عيسى): سنن التّرمذيّ، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، ط2، 1395هـ-1975م.

ابن جزي (محمّد بن أحمد): التّسهيل لعلوم التّنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1461هـ.

ابن حبّان (محمّد): المسند الصّحيح على التّقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، تحقيق: محمّد علي سونمز، وخالص آيدمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433ه-2012م.

ابن حجر العسقلانيّ (أحمد بن علي):

الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة، دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدّكن، الهند، تحقيق: السّيّد خورشيد علي، ط2، 1392ه/1972م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 461/1.

أبو داود (سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب السّنّة، باب في لزوم السّنّة، ط1، 1430هـ-2009م.

الرّاغب الأصفهانيّ: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت لبنان، 1392هـ-1972م.

الرّحيلي (محمّد بن أحمد): منهج القرآن الكرين في دعوة المشركين إلى الإسلام، عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1424ه-2004م.

الزّمخشريّ (محمود بن عمرو): الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.ط.

ابن سلّام (القاسم): فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطيّة، ومحسن خرابة، ووفاء تقيّ الدّين، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.

ابن سليمان (ناصر): الحكمة، دار الوطن للنّشر، ط1، 1412ه.

الشّريف الجرجاني (علي بن محمّد): التّعريفات، دار الكتب العلميّة، بيروت_لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

الشّعراويّ (محمّد متولّي): الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

الطّبريّ(محمّد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التّربية والتّراث، د.ت.ط.

ابن طنطاوي (عرفة):

عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بيّنتها سورة لقمان، د.ت.ط.

المنهج التّأصيليّ لدراسة التّفسير التّحليليّ، د.ت.ط.

ابن عاشور (محمّد الطّاهر) : تحرير المعنى السّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنّشر والتّوزيع، 1997م.

العربي (هشام): تجديد الخطاب الإسلاميّ، مؤتمر بناء الشّخصيّة المسلمة في القرن الحادي والعشرين، 4 أفريل 2012م، د.ت.ط.

ابن عطيّة (عبد الحقّ بن غالب): المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1.

ابن فارس (أحمد): معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

الفخر الرّازي (محمّد بن عمر): التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي، ط3، 1420هـ.

الفيروزآباديّ (محمّد بن يعقوب):

بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمّد علي النّجّار، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، القاهرة، 1416هـ-1996م.

القاموس المحيط، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت-لبنان، ط8.

الفيّومي (أحمد بن محمّد): المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، المكتبة العلميّة، بيروت، د.ت.ط.

القاضي عياض (أبو الفضل): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصّحراوي، ط1.

القدومي (سامي): التّفسير البياني لما في سورة النّحل من دقائق المعاني، دار الوضّاح، الأردن، عمان.

القرطبي (محمّد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصريّة، ط2، 1384هـ-1964م.

مرتضى (محمّد): تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1422هـ-2001م.

مسلم (ابن الحجّاج): صحيح مسلم، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، القاهرة.

المناويّ (عبد الرّؤوف): فيض القدير شرح الجامع الصّغير، تعليق: ماجد الحمويّ، المكتبة التّجاريّة الكبرى، مصر، ط1، 1356ه.

ابن منظور (محمّد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.